المحجّة | العدد التاسع عشر ٢٠٠٩

مجلّة تُعنى بشؤون الفكر الدينيّ والفلسفة الإسلاميّة

رئيس التحرير	شفيق جرادي
مدير التحرير	محمود يونس
المدير المسؤول	بدري معاوية
هيئة التحرير	أحمد ماجد
	حبيب فياض
	سمير خير الدين
	طارق عسيلي
	علي يوسف
	محمد زراقط
إخراج فنّيّ	IDEA CREATION

سعر النسخة: لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل - عمان: ٤ ريالات - سوريا: ١٠٠ ل.س - مصر: ٥ جنيهات - الأردن: ٣ دينارات - اليمن: ٢٢٥ ريالاً - قطر: ٢٠ ريالاً

السعودية: ٢٥ ريالاً - الكويت: ٢ دينار - الإمارات العربية: ٢٠ درهماً - البحرين: ١,٥ دينار - المغرب: ٢٥ درهماً - دول الاتحاد الأوروبي: ٥ يورو

سويسرا: ١٠ فرنكات - بريطانيا: ٤,٥ جنيه - أميركا: ٨ دولارات - كندا: ١٠ دولارات - استراليا: ١٠ دولارات - الدول الأوروبية الأخرى: ٨ دولارات

الاشتراك السنوي: لبنان وسوريا: ١٠ دولاراً - أوروبا وأميركا وسائر الدول: ٤٠ دولاراً - باقي الأقطار العربية: ٢٠ دولاراً - المؤسسات الرسمية والخاصة: ٥٠ دولاراً

تُرسل الاشتراكات والمراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

معهد المعارف الحكميّة (للدراسات الدينيّة والفلسفيّة)

لبنان - بيروت - حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢

أو على رقم الحساب: بنك عودة 59129946100206401

E-mail: almahajah@shurouk.org

دراســـات وأبحـــاث

خنجر حميّـة	▪ الاتّجاه النقديّ عنـد أبـي البركات البغداديّ(٢): المنطق والإدراك العقليّ
شفيق جرادي	▪ الديـن، الفلسفة، والسؤال المهاجر
ماسيمو كامبانيني	▪ تأويـلات قرآنيّة وهيمنـة سياسيّـة: إصـلاح الفكـر الإسـلامـيّ
علي فيّاض	▪ الخطـاب الإسلامـيّ: بيـن الرؤيـة والمشـروع

الإسلام في الفِكر الدينيّ المسيحيّ

عادل تيودور خوري[1]

ثمّة، بين الإسلام والمسيحيّة، علاقات قُربى وثيقة، وإن باعدت بينهما بعض أيّام التاريخ. ومن المهمّ جدّاً، اليوم، العكوف على تبيان مفصّل للعناصر المشتركة بينهما في الدين والقيَم الأخلاقيّة والقواعد المسلكيّة إذ يمثّلان تجلّياً للبحث عن الخير والحقيقة المدفوعين بنعمة العناية الإلهيّة وبركة الروح القدس، وإن كان للمسيحيّة، لدى الكاتب، فضلٌ حاسم لصلتها المباشرة بالمسيح. ومثل هذه الدراسة ومثل هذا العرض يمهّدان السبيل إلى فهم متبادل أدقّ وأوسع أو إلى تفاهم أكثر شمولاً.

لا يتّسع المجالُ، في هذا العرض المقتضب، لتناول جميع نواحي الموضوع. فإنّ هناك منطلقات مختلفة في تقييم الأديان غير المسيحيّة جملةً وتقييم الإسلام خاصّةً، وهناك أحكامٌ مختلفة ومحاولات مختلفة في تحديد مكان الإسلام في النظرة المسيحيّة حول الإطار الشامل لنظام الخلاص الإلهيّ.

غرضي، في هذا المقام، توضيح بعض النقاط المهمّة في مقطعين:

أوّلاً، المنطلق المسيحيّ والتفات اللاهوت المسيحيّ إلى الأديان غير المسيحيّة عامّة، ومنها الإسلام.

ثانياً، عرض مقتضب لموقف الفكر المسيحيّ – الكاثوليكيّ [إذ إنّ هناك بعض الاختلاف عند غيره من المذاهب المسيحيّة الأخرى] من الإسلام في بعض نواحيه.

(١) مدير قسم اللاهوت في جامعة مونستر بألمانيا سابقاً؛ مستشار سابق للكرسي الرسولي في موضوع الحوار الدينيّ؛ متفرغ للتأليف حالياً.

أوّلاً: المنطلق المسيحيّ

أ. معطيات الإنجيل والعهد الجديد

ينطلـق الفكر المسيحيّ من أساس ما جاء في الإنجيل والعهد الجديد عن الخلاص ووسائله. أذكر منه بعض الآيات التي توضح النقطة الأساسيّة:

قال السيّد المسيح: «أنا الطريق والحقّ والحياة»[١].

جاء في أعمال الرسل: «ما من خلاص بأحد غيره، إذ ليس تحت السماء اسمٌ آخر أُعطي للناس به ينبغي أن نخلص»[٢].

وكتب بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «لأنّ الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، هو الإنسان يسوع المسيح»[٣].

ب. الأديان غير المسيحيّة

١. مـرّت أيّامٌ كان الفكرُ المسيحيُّ يحكم فيها على الأديان غير المسيحيّة بأنّها ضلالٌ بجملتِها وبأنّها لا تُقدِّم لأتباعها ما يلزم لنيل خلاص الله.

من هنا انطلق الإصرارُ على التهجّم على هذه الأديان. وقد كان للإسلام نصيبٌ عريض من هذا التيّار لكثرةِ احتـكاكِ المسيحيّين بالمسلمين شرقًا وغرباً، ولكثرةِ تصـادم الأغراض السياسيّة وتتابع الجولات الحربيّة بين الطرفين.

٢. أورد هنا باختصار – على سبيل المثال – ما جاء في ذلك عند اللاهوتيّين المسيحيّين القدماء في مملكة بيزنطية الشرقيّة الناطقة باليونانيّة وفي الغرب اللاتينيّ.

لقـد استعـان مهاجمو الإسلام بالنظـام الدفاعيّ الـذي كان اللاهوت المسيحيّ قـد نصبه لردّ اعتراضات خصوم المسيحيّة وتقديم الدليل على صحّة العقيدة المسيحيّة. فرأوا أنّه، إنْ كان الإسلام لا يفي بما تتطلّبه معايير هذه الأنظومة اللاهوتيّة، فعند ذلك يجب اعتباره دينًا باطلاً، وذلك بالنسبة إلى الذي بشّر به وإلى كتابه وإلى عقيدته وشريعته.

(١) إنجيل يوحنّا، ١٤: ٦
(٢) أعمال الرسل، ٥: ١٢.
(٣) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، ٢: ٥.

مـن هنا أصرّ هؤلاء اللاهوتيّون على أنّ مقارنة بين الإسـلام والمسيحيّة توضح أنّ هناك فوارق جسيمـة بينهما في العقيدة والأخلاقيّات والعبـادات، وأنّ القرآن يناقض الكتاب المقدّس الصحيح في كثـير مـن نقاطه، ذلك الكتاب الذي أوحى بـه الله إلى موسى والأنبياء، وألهمـه الرُسُلَ وكاتبي الأناجيل. وكانت نتيجة عرضهم أنّ الإسلام دينٌ باطل.

٣. في القرن العشرين حدث تحوّلٌ في موقف الفكر المسيحيّ حيال الأديان غير المسيحيّة. وقد حصـل هذا التحوّل تحت تأثير المعـارف الجديدة التي وصل إليها تاريـخ الأديان المقارنة، وتقاربِ الناس المتزايد، ممّـا أدّى إلى تحسّس جديد للتقاليد الدينيّة عند الشعـوب المختلفة. وقد عبّر المجمع الفاتيـكاني الثـاني – وهو المرجع الأعلـى في الكنيسة الكاثوليكيّة – بوضـوح عن هذا التحول في وثائقـه، ولا سيّمـا تصريحه حول علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّـة، وأثبت بذلك ما سبق من جهود العديد من اللاهوتيّين.

١.٣. أهميّة الأديان في حياة الشعوب

- حيويّـة الأديان: إنّ الكنائس المسيحيّة يتّضح لها، بشكلٍ متزايد، المقام الذي تحتلّه الأديان في العـالم والوظيفة التـي تقوم بها في حياة الشعوب. إنّها في معظمهـا تُعتبر قواماً لحياة الجماعة أو مسهمـة في تأمـين هذه الحياة، وبالتالي لهـا إسهامها في حياة البشريّة جمعـاء. والأديان في مختلف بلـدان العالم (على الأقلّ خارج الدول الغربيّة) تشهد اليوم نهضة واضحة وتؤدّي نشاطاً فعّالاً. إلى ذلـك، فإنّ قيام البحث عن أبعاد تفـوق الدنيا، وإفاقة البحث عن معنى الحيـاة والمجتمع والتاريخ وعن الأبعاد السامية، إنّ كلّ هذا لدليلٌ واضح على تعلّق الإنسان بالله وحاجته إلى الخلاص وتطلّعه إلى سبل هذا الخلاص.

- نظام قِيَم ووسـيلة خلاص: في هذا الإطار البشريّ تقوم الأديـان بدور لا غنى عنه، إذ إنّهـا تقدّم مجموعة منتظمة مـن حقائق خلاصيّة، توضح معنى الحياة وغايتها بالنسبة إلى الله وعلاقة الإنسـان به، وبالنسبة إلى الكون، وإلى الحياة والموت، وإلى تاريـخ البشريّة الشامل. وتقدّم الأديان بواسطـة ما تؤكّده لشـرح أبعاد الكون والحياة والنشوء والتاريـخ، توجيهًا يساعد على الاضطلاع الموفّـق بمهـامّ الحاضر والاستفادة من عبر الماضي والتخطيط لمستقبـل مُفْلح. والأديان تقدّم قبل كلّ شـيء جواباً عن السؤال المتعلّق بالواجبات ومنهج التصـرّف الأخلاقيّ والخلاص. فترشد الإنسان إلى السبيـل المؤدّي إلى مصالحته مع نفسه ومع سائر الناس، ومصالحته مع الخليقة والبيئة، ومصالحته مع الله.

٢.٣. الاستعداد للحوار

نظرًا إلى أنّ العالم تضيقُ رقعتُهُ وأنّ الشعوب النائية تزداد قرباً، تسعى الكنائس المسيحيّة أن تنظر من وراء الفوارق الفاصلة إلى ما هو مشترك بين الناس والأديان. وقد عبّر عن ذلك المجمع الفاتيكاني الثاني كما يلي: «وفقاً لمهمّتها في أن تدعم الوحدة والمحبّة بين البشر وبذلك بين الشعوب، تنظر (الكنيسة) إلى ما هو مشترك بين الناس ومن شأنه أن يقودهم إلى الشركة بعضهم مع بعض».

الأديان غير المسيحيّة يجب الاهتمام لها، والتعرّف إليها وتقديرها. إنّ الموقف الأساسيّ للمسيحيّين في لقائهم مع غيرهم من البشر يقوم على الجهد في الاهتمام النصوح لهم ولأديانهم ولأسئلتهم الصحيحة المهمّة في حياتهم. وقد سرد المجمع الفاتيكاني الثاني أهمّ هذه الأسئلة: ما هو الإنسان؟ وما هو معنى حياتنا وغايتها؟ ما هو الخير وما هي الخطيئة؟ ما هو مصدر الألم وما معناه؟ ما هو السبيل إلى السعادة الحقّة؟ ما هو الموت والحساب والثواب بعد الموت؟ وأخيرًا ما هو ذلك السرّ الأخير الذي لا يمكن التعبير عنه، سرّ حياتنا الذي منه نأتي وإليه نصير؟ فإنّ ما هو مشترك بين التراث المسيحيّ والأديان غير المسيحيّة يؤلّف قاعدة كافية لحوار منفتح وتعاون مثمر.

٤. ماذا تغيّر؟

١.٤. خلاص غير المسيحيّين: إنّ الأديان غير المسيحيّة لم يَعُد يُحكَمُ عليها بدون تمييز كضلالٍ وبطلان، ولم تَعد تُرفَض تعاليمها ومقاييسها ونظمها العمليّة بمجملها.

فغير المسيحيّين يمكنهم البلوغ إلى الخلاص، «لأنّ الذي لم يبلغ إلى معرفة حقيقة إنجيل المسيح وكنيسته، وذلك بدون ذنب منه، ولكنّه يبحث عن الله بقلب صادق ويحاول بفعل النعمة أنّ يتمّم عمليّاً إرادتَهُ التي اطّلع عليها في نداء ضميره، فهذا يمكنه أن ينال الخلاص الأبديّ. فإنّ العناية الإلهيّة لا تحرم الأمور الضروريّة للخلاص أولئك الذين لم يبلغوا بعد إلى الاعتراف الصريح بالله، وذلك بدون ذنب منهم، ولكنّهم يجتهدون بفعل النعمة أن يحيوا حياة قويمة».

وهكذا فإنّ سبيل غير المسيحيّين إلى الخلاص يتعلّق بالحقيقة التي يبلغون إليها[١]، وذلك بواسطة دينهم، وبالخير الذي يفعلونه[٢]. وهذه الحقيقة وهذا الخير هما الرباط الذي يربطهم بنعمة الله ويقيم علاقة ما بينهم وبين عمل المسيح الخلاصيّ الذي مات لأجل جميع الناس والذي ارتضى الله أن

(١) راجع الرسالة إلى العبرانيّين، ١١: ٦.

(٢) راجع أعمال الرسل، ١٠: ٣٥؛ الرسالة إلى الرومانيّين، ٢: ١٠؛ رسالة يوحنّا الأولى، ٢: ٢٩.

يصالح به الجميع مع نفسه[1].

٢.٤. تأويـل أدقّ للمطالبة بمطلقيّة الدين المسـيحيّ: إنّ القبـول بفاعليّة الأديان غير المسيحيّـة بالنسبة إلى الخلاص يدعـو إلى فهم مطالبة الدين المسيحيّ بالمطلقيّـة فهماً أفضل والتعبير عنه تعبيراً أدقّ. فالمسيحيّة كبنية اجتماعيّة للعقيدة المسيحيّة، وفي شكلها كجماعة قانونيّة معيّنة، لا يمكـن اعتبارها مطلقة. فالمطلق في المسيحيّة هو المسيح، وهي النعمة وهو الإيمان، أي إنّه في النهاية ليس هناك مطلق إلّا الله وحده. والمسيح وحده هو «الطريق والحقّ والحياة»[2]. فالمسيحيّة والكنيسة كبنية قانونيّة وجماعة مؤمنين عليها أن توجّه خطاها بوحي المسيح، وأن تُنقّي ذاتها كي يشرق فيها وجـه المسيح إشراقًا يزداد صفاء. هـذا يعني أنّ المسيحيّة في صورتها الحسيّـة تبقى جماعة تشوبها الخطيئـة. ولكنّهـا تسعى حتّى تبلغ إلى ملء المسيح في آخر الأزمنة[3]. هذا مع العلم أنّ المسيحيّة لها فضل حاسم، هو علاقتها الصريحة المباشرة بالمسيح أيْ بالخلاص الذي لا يعلوه خلاص، الذي أنعم الله بـه علـى البشر في المسيح. لذلك تعتـبر الكنيسة ذاتها، على ما يشوبها مـن نقصان وتعثّر، مقام اكتمال الحقيقة والخير اللذين تتضمنّهما الأديان.

٥. علاقة الدين المسيحيّ بالأديان غير المسيحيّة

هنـاك نظريّـات مختلفة تحاول تحديـد علاقة الديـن المسيحيّ بالأديـان غير المسيحيّـة، بما فيها الإسلام.

١.٥. المسيحيّة تحكم على الأديان: هذا الحكم يمكن فهمه كقضاء وإدانة. هذه هي المقولة الأساسيّـة في اللاهـوت المستند إلى البروتستانتي كارل بـارت. وكان يعتبر الأديان محاولات بشريّة للاستيـلاء على الله، ومن ثـمّ سبلاً خاطئة. فليس هنـاك تواصل بين الأديان غـير المسيحيّة والدين المسيحيّ، ليس هناك مجال إلّا الارتداد الجذريّ.

ولكـنّ الحكم يمكن أن يعني أيضًا وزنَ الأمور وإبداء الـرأي فيها. هذا متعلّق بالتمييز بين الحقّ والباطل، وبين الخير والشرّ، وبالبحث عن بذور الكلمة الإلهيّة وآثار حقيقة المسيح، كما أعرب عنه المجمع الفاتيكانيّ الثاني وجعله إحدى مهمّات الكنيسة.

٢.٥. الدين المسـيحيّ هو إتمام الأديان كلّها: إنّ البحث عن الحقيقة والخير في الأديان

(١) الرسالة إلى الكولسيّين، ١: ١٩ – ٢٠.
(٢) إنجيل يوحنّا، ١٤: ٦.
(٣) راجع الرسالة إلى الأفسسيّين، ٤: ١٣؛ الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين، ١٣: ٩ – ١٠.

المسيحيّة يرتكز على أنّ هذه الحقائق وهذا الخير من فعل العناية الإلهيّة وشعاع من حقيقة المسيح. وهكذا فإنّها ليست غريبة عن الكنيسة والمسيحيّة. وبالعكس فإنّ الدين المسيحيّ هو نقطة ارتباط الأديان ومقام إتمامها. لأنّ غير المسيحيّين على حدّ قول المجمع الفاتيكاني الثاني «ينتظمون في الاتجاه إلى شعب الله». والكنيسة «تعتبر كلّ ما تجده في الأديان من خير وحقيقة تمهيدًا للإنجيل وهبة المسيح الذي ينير كلّ إنسان». هذا أساس المطالبة والمهمّة بأنّ المسيحيّين «عليهم أن يتدبّروا كلّ ما تحتويه قلوب الناس وعقولهم وشعائر دينهم وثقافتهم من بذور الخير، ويجتهدوا في شفائه والسموّ به وإتمامه»[1].

وإنّ مهمّة المسيحيّة بأن تكون كمال الأديان، تحتوي أيضًا على الإقرار بأنّ المسيحيّة نفسها في مسيرة نحو المعرفة التامّة لحقيقة المسيح الكاملة. فملء قامة المسيح لا يُبلَغ إلّا في آخر الزمان[2]. وحتّى البلوغ إلى هذا الهدف، على الكنيسة أن تنقاد لعمل الروح القدس «يرشدها إلى الحقيقة كلّها»[3]. وإنّ أحد سبل الروح القدس هو اللقاء بالتقاليد الدينيّة الأخرى واستعداد الكنيسة للانفتاح تجاه تراث هذه الأديان والطواعيّة لعمل الروح القدس الحرّ في عمله واتّجاهاته.

ثانيًا: الإسلام في النظرة المسيحيّة

نتحوّل الآن إلى تطبيق ما جئنا على ذكره حتّى الآن من معطيات ينطلق منها الفكر المسيحيّ، على الإسلام، ونحاول أن نوضح بطريقة أدقّ موقف المسيحيّة من الدين الإسلاميّ.

أ. القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة

إنّ حجم القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة أكبر ممّا يظنّ البعض. ونوعيّة هذه القيَم المشتركة أفضل ممّا يتوهّمُ من لا يملك إلّا معرفة ضئيلة لما ورد في مصادر الوحي عند الدينين، أي الكتاب المقدّس، ولا سيّما الإنجيل وأسفار العهد الجديد عند المسيحيّين والقرآن الكريم عند المسلمين، وأعمق ممّا يعي من لا يحكم في الأمور إلّا من خلال الاختبار العمليّ لبعض أحوال البُعد والنفور بين المسلمين والمسيحيّين.

ولا عجب في أن يكون الإسلام على هذا القرب من المسيحيّة، إذ إنّ النبيّ محمّداً كان له إلمامٌ

(١) نور الشعوب، ١٦ – ١٧.
(٢) راجع الرسالة إلى الأفسسيّين، ٤: ١٣.
(٣) إنجيل يوحنّا، ١٦: ١٣.

غـير يسير بمـا جرى عليه الرهبان في مواطن نسكهم والرعايا المسيحيّة في البقاع الممتدّة بين شماليّ الجزيرة العربيّة ومشارف فلسطين وسورية. فكان للقرآن الكريم ذكرٌ طيّب للرهبان في تعبّدهم.

ثمّ إنّ ما نقرأه في صفحات القرآن الكريم من قصص الأنبياء، ومن أنباء عن السيّد المسيح ومريم البتول أمّه، لدليل جليّ على أنّ الإسلام منذ مطلع دعوته كان يرى بين مقوّماته ومقوّمات المسيحيّة قرابة فريدة.

فالقيـم المشتركـة بين الإسلام والمسيحيّـة التي نحن بصددها كثـيرة في أصولها وفروعها. ولا يتّسع المجال هنا إلّا لذكر القليل القليل منها. فأكتفي بذكر مَثَلين يوضحان ما ألمحتُ إليه من القرب بين العناصر الدينيّة في الإسلام والمسيحيّة.

١. إنّ التسابيـح والأدعيـة التي نقرأها في القرآن الكـريم وفي الحديث النبويّ الشريف فيها من النصوص ما هو قريب جدًّا ممّا نجده في تراث الصلـوات والأدعية المسيحيّة. وأورد هنا على سبيل المثال الصلاة التي علّمها السيّد المسيح لتلاميذه، وأُقابلها بما نُقل في الحديث الشريف.

– قـال السيّد المسيح: «فأنتـم صلّوا هكذا: أبانا الذي في السّمـاوات، ليتقدّس اسمُكَ، ليأتِ ملكوتُكَ، لتكن مشيئتُكَ على الأرض كما في السماء. خبزَنَا كفافنا أعطنا اليوم. واترك لنا ما علينا كما تركنا نحن لمن لنا عليه، ولا تُدخلنا في التجربة، بل نجِّنا من الشرير»[١].

نقابـل بين هذه الصلاة التي يتلوها المسيحيّون بطريقة متواصلة والدعاء الذي دوّنه أبو داود في سننـه عن أبي الورداء، عن النبـيّ محمّد: «ربّنا الله الذي في السماء، تقدّس اسمُك، أمْرُكَ في السماء والأرض. كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض. اغفر لنا حَوبَنا وخطايانا، أنتَ ربّ الطّيبين. أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ».

٢. إنّ أوضـح ما يَظهر القُرب في القيَم المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة هو في مجال الإحسان، في القيَم الأخلاقيّة وما ينتج عنها من وصايا تأمر بالخير وتنهى عن الشرّ.

ووصايـا الله هـذه تأمر بعبـادة الله، واحترام اسمـه القدّوس، وإكرام الوالديـن، وتحريم القتل، والزنى، والسرقة، وشهادة الزور. وقد وردت بآيات متماثلة في التوراة والإنجيل والقرآن[٢].

اتّضـح ممّا جـاء عرضه في هذه العُجالة أنّ بين الإسلام والمسيحيّـة علاقات قُربى، وإن باعدت

(١) إنجيل متّى، ٦: ٩ – ١٣.

(٢) راجع الخروج، ٢٠: ٢ – ١٧؛ مرقس، ١٠: ١٨ – ١٩؛ متّى، ١٩: ١٨ – ١٩؛ لوقا، ١٨: ٢٠؛ سورة الأنعام: الآيتان ١٥١ – ١٥٢؛ سورة الإسراء: الآيتان ٢٢–٣٩.

بينهمـا بعض أيّام التاريخ. وقد يكون في حقبة التاريخ الحاضـرة من المهمّ جدًّا العكوف على تبيان مفصّل للعناصر المشتركة بينهمـا في الدين والقيَم الأخلاقيّة والقواعد المسلكيّة. فمثل هذه الدراسة ومثل هذا العرض يمهّدان السبيل إلى فهم متبادل أدقّ وأوسع أو إلى تفاهم أكثر شمولاً. وما أحوجنا إلى ذلك في عصر نعيش فيه معًا حاضرًا مشتركًا على الصعيد العالميّ، ونسعى فيه معًا إلى بناء مستقبل مشـترك، نمارس فيه التضامن الشامل ونعـود فنكتشف صدق ما صرّح به المجمع الفاتيكاني الثاني: «تنظـر الكنيسة باحترام إلى المسلمين الذي يعبـدون الله الواحد الحيّ القيّوم الرحيم القادر على كلّ شيء، خالق السماء والأرض، الذي كلّم البشر».

ثـمّ نعود فنختبر ونتذوّق ما أكّـده القرآن الكريم في سورة المائدة: ﴿**ولتجـدنّ أقربَهُم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى...**﴾[1].

ب. سؤال أساسيّ: ما يقول الفكر المسيحيّ في صحّة بعثة النبيّ محمّد وإنزال القرآن؟

١. النواحي الإيجابيّة

إنّ الفكر المسيحيّ يقابل بالتقدير أنّ رسالة محمّد وتعاليم القرآن قد أدّت إلى تقريب الناس من خلاص الله. فإنّهـا قـد قادت المشركين العرب إلى الإيمان بالله الواحـد وأوضحت لهم ولأتباع الإسلام قيم الخـير وقواعـد الصلاح. ثمّ إنّها تضمّنت معرفة – ولو كانت غير كاملة في نظر المسيحيّين – للسيّد المسيـح. وأدّت بذلـك كلّه إلى التغلّب على الكفر بالمسيح. وهكذا فالفكر المسيحيّ يرى – ولو أنّ القـرآن أنكـر ألوهيّة يسوع المسيح ونعـت عقيدة الثالوث الأقدس بأنّها شبيهـة بالإيمان بثلاثة آلهة – أنّ محمّدًا بفضل موقفه من يسوع المسيح وإيمانه به، يجب اعتباره على صلة به. وهذا يعني أنّه لم يرفضـ التوجّه إلى المسيح ولم يفضّل الانفصـال والابتعاد عنه تماماً، بل هو لا يزال قائماً في نطاق معرفة واضحة للمسيح واعتراف صريح به.

وهكذا يمكن اعتباره شبيهاً بالأنبياء الذين جاؤوا قبل المسيح. هذا يعني بالنسبة إلى محمّد أنّه جاء وبشّـر قبل القبـول بيسوع المسيح كما يعترف به الإيمان المسيحيّ، على مثـال الأنبياء القدماء الذين أبلغوا رسالتهم وأشاروا إلى المسيح – وقادوا الناس إلى معرفته – وإن كانت هذه المعرفة ناقصة.

ثـمّ إنّه يمكن إدخال محمّـد في عداد أولئك الأشخاص الذين ذكرهـم العهد العتيق من الكتاب

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

المقدّس، وحدّث عن بعض كلامهم وأكّد أنّ هذا الكلام جاء بوحي من عند الله، وإن لم يُحسَبوا من عِداد الأنبياء المعترف بهم.

أو يمكـن اعتبـار محمّد من جماعة الأنبيـاء الأصحّاء الذين هدَوا الناس بأعمالهم وأقوالهم إلى الإيمان بالله والتوبة، دون أن يطالبوا بأنّهم يُبلغون الناس رسالة نهائيّة من عند الله، ودون أن يؤكّدوا أنّهم كانوا في تصرّفهم خالين من الخطإ والشطط.

هـذا كلّه يعني أنّه لا يجوز الحكم المجمل الخالي مـن التمييز العادل على محمّد بأنّه نبي كاذب. مـن جهة أخرى يجـب التنبيه لأنّ النشاط النبـويّ المحدّد أو الكلام الذي يقـود الناس إلى الحقيقة والخير، لا يدلّ من باب الضرورة على أنّ ذلك النشاط وذلك الكلام قد حصلا من جرّاء وحي إلهيٍّ صحيـح، أي إنّه، إن كان أحد يقول الحقّ ويدعـو إلى الخير، فذلك لا يعني أنّه يعمل بسلطان مباشر من عند الله وبفعل وحي إلهيّ.

٢. موقف اللاهوت المسيحيّ

ولكنّ الإسلام ينظر إلى بعثة محمّد كدعوة إلى اعتبار الإسلام الدين الحقيقيّ النهائيّ، وبذلك إلى الخضوع له في الإيمان والعمل. هذا يعني بطريقة واضحة الدخول في الإسلام.

والسـؤال هو: هل يستطيع المسيحيّون انطلاقًا من معايير إيمانهم الخاص أن يتقبّلوا هذه الدعوة ويتّبعوها؟

هنـا تكـوّن الحقائق الملزمة في الإيمان المسيحيّ القاعدة للبـتّ في قضيّة صحّة بعثة محمّد النبويّة في نظر المسيحيّة. هذا يعني أنّ من ينادي برسالة تناقض صريحًا الحقائق الإيمانيّة الملزمة، لا يمكن أن يكون نبيّاً، يحقّ له أن يؤكّد سلطان رسالته الشاملة ويطالب بالخضوع لها في الإيمان والعمل.

هـذه هي النقطة الحاسمة التي تفصل بـين المسيحيّين والمسلمين في قرار إيمانهم. فإنّ ما جاء في القـرآن الكـريم عن يسوع المسيح (أي أنّ عيسـى ليس ابن الله، بل رجلاً أنعـم الله عليه ونبيّاً، وأنّه لا صلـة له بالخلاص كأن يكـون مخلّص العالم)، وما جاء عن الثالوث الأقدس (الذي تعتبره أكثريّة المسلمـين قـولاً بثلاثة آلهـة)، كلّ هذا يناقض مناقضـة صريحة الحقائق المركزيّـة الملزمة في العقيدة المسيحيّة.

ثمّ إنّ القرآن ينعت محمّدًا بأنّه «خاتم النبيّين»[1]، والإسلام يعتبر القرآن كلام الله النهائيّ والملزم

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

عامّـة، موجّهًا إلى الناس جميعًا. مثل هذه المقولة التي لا تتّفق وإيمان المسيحيّين بأنّ الله أوحى بذاته بنوع نهائيّ لا يمكن التفوّق عليه في يسوع المسيح.

هذه هي النقاط الأساسيّـة التي تفصل بين العقيدة المسيحيّة وإيمان الإسلام. يستطيع المسيحيّين والمسلمـون أن يهيبـوا بصفـات النبـيّ محمّد الرفيعـة من فطنـة وحكمة، وحـزم وغيرها. ويمكن المسيحيّون أن يعتبروا محمّدًا رجلاً نابغة تلفّظ هنا وهناك بكلمات نبوّية قرّبت الناس من الإيمان بالله وحثّتهم على ممارسة الخير.

ولكـنّ القرار الأخير، قـرار الإيمان الذي يعترف بأنّ محمّداً نبـيّ الله ورسوله الذي بعثه لإبلاغ رسالـة وحي سماويّ إلى جميع الناس، وأنّ القرآن من ثمّ وحيٌ منزلٌ مـن عند الله، وأنّ الإسلام دين الحقّ، هذا سيبقى الأمر الذي يفصل بين إيمان المسلمين وإيمان المسيحيّين إلى مدى لا يعلمه غير الله تعالى.

وينبغـي للمسيحيّين وللمسلمين أن يصبروا على هـذا الاختلاف وعلى أمثاله بين عقائدهم في جوّ من التفهّم والتصافي. وأن لا يعطّل ذلك استعدادهم للحوار النصوح والتعاون الخيّر.